تاريخ الإرسال: 2016/10/27 - تاريخ القبول للنشر: 2016/11/21 تاريخ النشر: 2016/12/26

الحيوانات البرية في إفريقية في الفترة الوسيطة

محمد المقدَّم
كلية الآداب والإنسانيات
جامعة منوبة (تونس)

ABSTRACT

The Romanian historical sources said that two–thirds of Tunisia country was covered by forests 'which reflects the extent of the spread of vegetation that provided undoubtedly a very favorable environment for the presence of diverse types of animals .It is known for the Romans their love and inte–rest by nature and landscapes and this is reflected in particular through the mosaics set value depicting various themes and topics 'including hunting scenes 'landscapes 'and scenes of various brutally animals and scenes of the games that took place in various circular theaters at Romanian Empire' in addition to scenes Wrestling savage animals or between them and those condemned to death and quoted us pictures for many brutally animals) such as rabbits 'elk 'deer 'pigs and brutal antelopes 'bears 'black 'tigers 'leopards' ostriches and other.(…

While In the intermediate period 'which is the field of our research and the subject of our article .It was many manifestations and appearances of savage animals presence 'which we will try to understand it 'and reflect the human relationship with it 'where it is a much interconnected relationship … It can be considered as a dialectical relationship largely interactive … a connection governed by The impact and vulnerability .So what are the appearances of man's relationship to savage life in the intermediate period?

The unrestrained animal's life represented to humans at Africa in the middle Ages:

-Source of livelihood or what is known as any source of food sources.

-A means of entertainment and entertainment.

-The means of some incurable diseases treatment.

-Source of inspiration for literary works and poetry and art.

-A source of fear and awe and superstition.

-Source of tales and superstitions.

مقدمـــــــــة :

تذكر المصادر التاريخية الرومانية أن ثلثا البلاد التونسية كانت تغطيها الغابات وهو ما يعكس مدى انتشار الغطاء النباتي الذي وفر بلا شك بيئة جدّ ملائمة لتواجد أنواع مختلفة و متعددة من الأصناف الحيوانية.

وقد عرف عن الرومان شغفهم وحبّهم الكبير للطبيعة وللمناظر الطبيعية ويتجلّى ذلك بالخصوص من خلال مجموعة اللوحات الفسيفسائية القيّمة التي تصور مختلف المحاور والمواضيع منها مشاهد الصيد ، والمشاهد الطبيعية، ومشاهد لمختلف الحيوانات البرية و مشاهد الألعاب التي أقيمت في مختلف المسارح الدائرية بالإمبراطورية الرومانية و مشاهد مصارعة بين الحيوانات المتوحشة أو بينها وبين المحكوم عليهم بالإعدام ونقلت لنا صورا عن العديد من الحيوانات البرية (كالأرانب والضباء والأيائل والغزلان والخانزير الوحشية والبقر الوحشي والدببة والأسود والنمور والفهود والنعام وغيرها...)

أما في الفترة الوسيطة و هو مجال بحثنا و موضوع مقالنا فقد كان لحضور الحيوانات البرية عديد التمظهرات و التجليات المختلفة التي سنحاول أن نستشفها و أن نفهمها و تتجلى علاقة الإنسان بها في كونها علاقة متلازمة ومترابطة أيما ارتباط... إنها علاقة جدلية تفاعلية إلى حد كبير... علاقة تحكمها المنفعيّة حينا والضرر أحيانا أخرى، علاقة يحكمها التأثير والتأثر – فما هي تجليات علاقة الإنسان بالحيوانات البرية في الفترة الوسيطة ؟

مثلت الحيوانات البرية بالنسبة للإنسان بإفريقية في العصر الوسيط :

- مصدرا للرزق أو ما يعرف بصيد التموين/القوت أي كمصدر من مصادر الغذاء.
- وسيلة للترفيه والتسلية.
- وسيلة من وسائل العلاج لبعض الأمراض المستعصية.
- مصدر إلهام لأعمال أدبية وشعرية وفنية.
- مصدرا للخوف والرعب والتطيّر.
- مصدر حكايات وخرافات.

I. الحيوانات البرية التي وجدت بافريقية في الفترة الوسيطة في أقصى اتساعها (من قصر أحمد إلى بجاية) وعلاقة الإنسان بها :

1) الأصناف الحيوانية وأماكن تواجدها :

كانت إفريقية وبخاصة في الفترة الوسيطة المبكرة مرتعا للعديد والعديد من الحيوانات الوحشية، حيث كانت الغابات والأحراش لا تزال تغطي مساحات واسعة من البلاد التونسية، من ذلك المكان الذي أنشأت فيه مدينة القيروان إذ تذكر المصادر التاريخية ومن بينهم المالكي الذي أورد في كتابه « رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، باب ذكر فضل القيروان» نقلا عمن سبقه من المؤرخين والمصادر الإخبارية ما نصه : « فقال : قربوها من السبخة فقالوا نخاف أن تهلكنا الذئاب ويهلكنا البرد في الشتاء و حرّها في الصيف، فقال لابد لي من ذلك، لأن أكثر دوابكم الإبل وهي التي تحمل عسكرنا، والبربر قد تنصروا وأجابوا النصارى إلى دينهم ونحن إذا فرغنا من أمرها لم يكن لنا بد من المغازي والجهاد ونفتح الأول منها فالأول فتكون إبلنا على باب مصرنا في مرعاها آمنة من غارة البربر والنصارى فأجابوه إلى ذلك. فمال إلى بناء المدينة على ساحل واديها. فقال : شأنكم فقالوا إنك أمرتنا بالبناء في شعار وغياض لا ترام ونحن نخاف من السباع والحيات وغير ذلك من دواب الأرض، وكان في عسكره خمسة عشر رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسائر ذلك تابعون. قال فبلغني أنه دعا الله عز وجل وأصحابه يؤمنون على دعائه ، ثم مضى حتى وقف على الوادي فنادى : (أيتها السباع ارحلوا فإنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) فنظر الناس ذلك اليوم إلى أمر عظيم : نظروا إلى السباع تخرج إليهم من الشعراء تحمل أشبالها والذئب يحمل أجراءه والحية تحمل أولادها، سمعا وطاعة. ثم نادى عقبة في الناس : كفوا عنهم حتى يرتحلوا...»(المالكي،دت ، ص12-11)

وعلى الرغم من أن البعض ذهب إلى القول بأن هذه الرواية لا تعدو سوى أن تكون مجرد خرافة تحمل مضامين دينية وتضفي هالة من القدسية على شخصية القائد العربي الإسلامي عقبة بن نافع إلا أن ارتسامات الحقيقة فيما ذكرته ليس بعيدا عن الواقع على الأقل في خصوص ما ذكرته من حيوانات كانت تعيش في المكان، إذ يحتمل أن يكون موضع إختطاط مدينة القيروان فيما مضى أي زمن الفتح الإسلامي شعارا وغياضا وأحراشا تعيش فيها أصناف متنوعة من الحيوانات على غرار (الذئاب، الأسود، الزواحف....).

ولعل ما يعزز هذا الطرح، ما تم العثور عليه في مدينة صبرة المنصورية في حفرية قامت بها الباحثة نبيهة عبد الجواد من بقايا عظام لحيوانات برية تم اصطيادها على غرار : (البقر الوحشي، المها، أبو حراب وغيرها).

وهذا أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني (دائرة المعارف الإسلامية. الدرجيني، ج2، ص448.صالح باجبة ، دت ،ص 207، 209) (450هـ -500 هـ) يخبر في مؤلفه كتاب السيرة وأخبار الأئمة عن قصة أحد

شيوخ المذهب الأباضي في إفريقية وهو أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح، بوجود السباع بالجنوب التونسي وتحديدا بواد بالقرب من مدينة قابس فيذكر ما يلي :» وبلغنا أنه جاز بواد توجد فيه سبع ولبؤة وأشبالهما، فشد عليهم بالسيف فقطع أرجلهما، يعني أرجل الأسد واللبؤة وتركهما يحبوان ويزحفان فجازه بحي من أحياء البربر فنادى : يا أهل الحي من أراد منكم اللحم فليمض إلى الوادي عند السدرة. فابتدر أهل الحي إلى الوادي فوجدوا فيه سبعا ولبؤة يحبوان ومعهما أشبالهما فمن يأكل المكروه طفق يأكل...». (الورجلاني ، 1985)

أما أبو محمد عبد اللّه بن محمد بن أحمد التيجاني فقد ذكر في مؤلفه والذي يروي فيه رحلته إلى إفريقية والمغرب الأوسط ما يلي :» وولول هي منتهى أرض زوارة وسميت بذلك لأن أقواما من البربر يعرفون ببني ولول نزلوا بها وكذلك تعرف في القديم بأرض بني ولول، وهي أكثر بقاع الأرض ظباءا ولأهلها دربة في صيدها بأشراك ينصبونها لها تميزوا بذلك عن غيرهم...». (حسني عبد الوهاب ، 2005، ص 375)

ومن الحيوانات التي ذكرها الرحالة والمؤرخون العرب في براري إفريقية حيوان الفنك وهو من فصيلة الكلبيات يعيش في الصحراء وقد ورد ذكره في كتاب البكري (المتوفى سنة 478 هـ) المسالك والممالك وتحديدا الجزء الذي يحمل عنوان « المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب» حيث أورد ما يلي: « ولا يعرف وراء قسطيلية عمران ولا حيوان إلا الفنك إنما هي رمال و أرضون سواخة وهم يخبرون أن قوما أرادوا معرفة ما وراء بلادهم فاستعدوا الازواد وذهبوا في تلك الرمال أياما فلم يروا أثر العمران وهلك أكثرهم في تلك الرمال...» (البكري، دت ، ص49)

والطريف ما ذكره البكري في كتابه الآنف الذكر من وجود ملك الغابة وسيد الوحوش بكثرة في الطريق بين القيروان ومدينة بونه وبالتحديد في اجّر وهي تلي جلولا القريبة من القيروان : « من القيروان إلى جلولا كما تقدم ومنها الى اجّر ولها حصن وبها قنطرة وهو موضع وعر كثير الحجارة المتكابد المسالك ماسدة لا تكاد يخلو من أسد، دايم الريح العاصفة، ولذلك يقولون إذا جئت اجّر فعجّر فان فيه أسدا يفري وحجرا يبري وريحا تذري...»(البكري، دت، ص 54)

كما ذكر البكري وجود الحيات بكثرة في مدينة بونة : « وهذه المدينة كثيرة الحيات فاسدة الهواء...» (البكري، دت، ص55)

ومن بين الرحّالة والمؤرّخين المسلمين الذين زاروا إفريقية في بداية القرن السادس عشر ميلادي العاشر هجري الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي حيث مكث في إفريقيّة حوالي السنتين وتحدّث عن الحيوانات البرّية بها على غرار مدينة بجاية التي كانت تعيش في غاباتها القرود والفهود :» والبلاد كلها جبال وعرة مكسوة بغابات تنتشر فيها القرود والفهود...» (الفاسي، 1983، ج2، ص 51). ومدينة قسنطينة التابعة لمملكة تونس كانت توجد على مقربة منها السلاحف بكثرة : « وعلى مسافة نحو ثلاث رميات حجر من المدينة، يوجد حمام مكون من عين ماء ساخن يتدفق بين أحجار ضخمة، ويعيش فيها عدد كبير من السلاحف

تعتقد النساء أنها شياطين. وإذا اتفق أن أصيبت إحدى النساء بالحمى أو غيرها تقول إن سبب ذلك يرجع إلى السلاحف...» (الفاسي، 1983، ص59)

وفي جنوب بلاد إفريقية وتحديدا في الصحراء الممتدة حاليا بين تونس وليبيا نجد النعام الذي كان سكان هذه المنطقة وهم قبائل بربرية رحل وهي صنهاجة، وونزكة، وتاركة، ولمطة وبرودة يصطادونه كما أورد ذلك الحسن الوزان : « وما كدنا نصل إلى الخيام حتى أمر ذلك الرجل الطيب بذبح عدد من الجمال الصغيرة والكبيرة، والغنم، وبعض النعامات التي اصطادوها في الطريق...» (الفاسي، 1983، ص60)

كما كان العرب القاطنين بنوميديا يصطادون حيوانات برية متعددة وجدت في بيئتهم « ويخرج هؤلاء العرب دائما لصيد الغزال، وحمار الوحش، والنعام، واللمت ، والمها، وغيرها من الوحش...» (الفاسي، 1983، ص62)

و كمحصلة للحيوانات البرية التي ذكرها الحسن الوزان في كتابه والتي كانت تعيش في إفريقية أواخر الفترة الوسيطة نذكر : « الفرس الوحشي، الثور الوحشي، الحمار الوحشي، اللمت ، الأسد ،النمر،الضبع، قط الزباد، القردة، الأرانب، السلحفاة العملاقة ، الضّبّ، الورل ،الحرباء، النعامة، النسر ، البازي، الخفاش،

2) علاقة الإنسان بها :

تجلت علاقة الإنسان بالحيوانات البرية بإفريقية في الفترة الوسيطة في :

أ) الصيد والقنص بغرض الانتفاع بلحومها وجلودها :

من بين الدوافع الأساسية والرئيسية للصيد وقنص الطرائد هي الإنتفاع بلحومها واستعمال جلودها في أغراض شتى ويتجلى ذلك في عديد المواضع التي ذكرها الرحالة والمؤرخون العرب المسلمون أو غيرهم في مؤلفاتهم المختلفة ممن زاروا بلاد المغرب في الفترة الوسيطة ووصفوا كيفية وطريقة صيد الحيوانات البرية ونوعية الطرائد ومن بين هؤلاء يمكن ذكر أبي محمد عبد اللّه بن محمد بن أحمد التيجاني في وصفه لولول وهي منتهى أرض زوارة وسكانها وطريقة صيدهم للغزلان : «... وهي أكثر بقاع الأرض ظباءا ولأهلها دربة في صيدها بأشراك ينصبونها لها تميزوا بذلك عن غيرهم...». (حسني عبد الوهاب، 2005، ص375)، وتعد الغزلان من بين أكثر الطرائد التي يستطاب لحمها لجودته العالية.

وقد ذكر لنا كل من الرحالة والمؤرخ والعالم الأندلسي الحسن الوزان الملقب بليون الإفريقي ومعاصره المؤرخ مارمول كاربخال في كتابيهما وهما على التوالي : وصف إفريقيا و كتاب إفريقيا من خلال رحلتهما إلى منطقة شمال إفريقيا لاسيما مملكة تونس أو إفريقية الحيوانات التي كان الأهالي يصطادونها بغرض أكل لحومها وهي :

- الفرس الوحشي : يصطاده الأعراب ويأكلونه ويقال إن لحمه لذيذ خاصة إذا كان صغيرا
- اللّمت : يدخره المغاربة مملحا وتصنع من جلده تروس صلبة جدا، تستعمل أثناء الحروب و تباع بأثمان باهظة.
- الثور الوحشي : يتم إصطياده للحمه الممتاز.

- الحمير الوحشية : لحمها جيد، ممتاز ولذيذ.
- قط الزباد : يتم اصطياده وتربيته بغرض أن يستخرج منه الزباد : « ...يصطادها التجار وهي صغيرة، فيربونها في القفص، ويغذونها باللبن وحساء النخالة، بالإضافة إلى اللحم. ويستخرجون منها الزباد مرتين أو ثلاث مرات في اليوم وما هو إلا عرق الحيوان...» (مارمول كارلبخال ، 1984، ص267)
- الأرانب البرية
- الضب : يصطاده الأعراب ويأكلون لحمه
- النعام : يصاد بكثرة في أقاليم نوميديا و تؤكل كمية وافرة منه بعد أن يتم اصطيادها وهي صغيرة فتقع تربيتها وتعلف وتسمن ثم يتم ذبحها وأكلها.
- الغزلان : يقوم الأعراب بصيدها ولحمها لذيذ.

ب) الصيد والقنص درءا لخطرها :

بالرغم من أن ممارسة الصيد تأتي بالأساس تلبية واستجابة لحاجة الإنسان للطعام والقوت وبغرض الإنتفاع بلحوم هذه الحيوانات، إلا أنه ومما لاشك فيه أن الصّيد يعني في كثير من الحالات أكثر من ذلك، إذ يمكن أن يستجيب إلى قتل الحيوانات الضارة والسامة مثل الأفاعي والحيات والعقارب بمختلف أنواعها درءا لخطرها على الإنسان حيث أنها كثيرا ما تسببت في وفاة عدد كبير من الناس بعد أن لدغتهم و مثلت على الدوام خطرا حقيقيا على حياته خصوصا إذا إكتشفت في دوره ومساكنه أو على مقربة من المكان الذي يعيش فيه إذ يذكر الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقية أن الحشرات السّامة مثل الحيّات والأفاعي والعقارب كثيرا ما أوقعت في سكان صحراء إفريقية وليبيا عديد الضحايا.

ومن الحيّات الأكثر خطورة على الإنسان لقوة سمّها وتمكنه من الإنسان ذكر: للّه الهدرة أفعى صغيرة طويلة العنق والذنب جدا. تكثر في مفازات ليبيا وهي سامة. إذا لسعت كان أنجع الدواء قطع العضو الملسوع، قبل أن يعدي السم باقي الأطراف...للّه. (الفاسي، 1983، ج2، ص 273)

ومن بين الحيوانات الخطرة الأخرى التي سعى الإنسان دوما لإبادتها وقتلها والقضاء عليها لتفادي خطرها عليه وعلى ماشيته نجد الضواري و بخاصة الأسود فهي تهدد في بعض الأحيان الإنسان ولا تتورع عن مهاجمته والفتك به : للّه الأسد الذي يسميه العرب هكذا، هو أقوى الحيوانات الوحشية وأكثرها شراسة حيث أنه يفترسها كلها سواء كانت وحشية أو أهلية ويمزق القطعان كما يمزق الإنسان أحيانا و يفترسه، وربما هاجم مائتي فارس خاصة إذا كان قرب مأوى يمكنه اللجوء إليه وفي مكان يتعذر محاصرته فيه وإذا علم الأعراب أهل البلاد بوجود أحد هذه الأسود الضارية في البادية احتشدوا جماعات كما لو كانوا يتأهبون للحرب وأخذوا الدفوف والنفير والأبواق ثم امتطوا خيولهم وذهبوا للبحث عنه في عرينه مع بعض الرماة لأنه لا يسير في النهار أبدا ويخرج في الليل للبحث عن فريسته فإذا وصلوا إليه طوقوه من كل جهة وأطلقوا عليه السهام والنبال بعد استدراجه إلى

الخلاء المكشوف فيقصدوه بمجرد الإحساس بالجروح ويرتمي على الخيل والرجال وهو يزأر عند ذلك يأخذون في الضرب و النفخ على الآلات التي أحضروها ليزعجوه ولولا الخطر الكبير الذي يتعرضون له لكان ذلك من أجمل الصيد في العالم لكن الأسد يحدث دائما مجزرة كبرى لاسيما في الخيل...لله (مارمول، 1984، ض 75)

ت) فوائد الصيد والقنص:

من أقدم ما سجله المؤرخون عن الصيد والقنص بإفريقية ما نقله ابن خلدون وغيره عن فترة الدولة الأغلبية من شغف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم الملقب بأبي الغرانيق (ت 261 هـ – 875 م) بالصيد وبخاصة صيد الغرانيق ولقد لقب بأبي الغرانيق لولوعه بصيدها : «... حتى بنى قصر الصّيد أنفق فيه ثلاثين مثقالا من الذهب... وغلب عله اللهو والشراب...» (ابن خلدون، 1958، ص430. ابن أبي الضياف،1990، ج1، ص140 (Henri Fournel.1875.p519. .

أما في العهد الحفصي فقد ولع الناس عامتهم وخاصتهم بالصيد – باعتباره متعة من نوع خاص تجمع بين الترويح عن النفس والرياضة والتسلية – بما في ذلك السلاطين الحفصيين واعتبر محظوظا من كان يمتلك كلاب الصيد التي تعرف بالسّلوقي :» إن كلاب الصيد مثل السّلوقي النحيف الجسم السريع كانت تحظى باعتبار بالغ وكان السلطان ذاته يعتبر نفسه سعيدا بامتلاك البعض منها، ذلك أن الصيد كان يعتبر متعة مرغوبا فيها وكان سراة القوم يتعاطونه، بالرغم من استنكاره، من حيث المبدأ، من طرف التعاليم الشرعية الصارمة، إذا كان الأمر يتعلق بضرب من ضروب اللهو، وقد سبق أن رأينا المكانة التي كانت تحتلها في حياة السلاطين تلك التسلية النبيلة...

كما كانت تروض العقبان لصيد الثعلب. وكان الصيادون يشركون أحيانا الفهود مع كلاب الصيد، مثلما هو الشأن في المشرق». (روبر برانشفيك ، 1988، ج2، ص 237–236)

وقد عدّد محمد المنكلي أكثر من عشر فوائد للصيد : « ففي ممارسته تمرين الخيل ورياضة النفس ولذة في غير محرم واكتساب الشجاعة ومعرفة ذوي الألباب، ويبعد الصائد في وقت صيده عن الذنوب و الإستغناء بالصيد عن الأكل في غير وقت الحاجة، وفيه إزالة الغموم والهموم ونبذ الأوجاع بالحركات، ويستشعر الصائد بلذة التعب وفيه أيضا تقوية للفكر و جلو البصر وشفاء من عديد الأمراض...ثم يؤكد : « وقد أجمع العقلاء أن ألذ ما وجد من الصناعات وأجلها وأطيبها وأقربها إلى طبائع الإنسان هو الصيد وذلك أنه يميل إليه قلب كل من الخلق...» (محمد المتكلي، 1988، ص19، 22. Mangî Ibn .1984.52–p51)

ث) الصيد والقنص للتحلي بالصبر والشجاعة :

ليس من السهل على الصياد أن يواجه الضواري إن لم يتحلى بالشجاعة والجلد ورباطة الجأش فحياته مهددة في أي لحظة وهو في خطر دائم ما لم يتمكن من قتلها وبخاصة إذا تعلق الأمر بالأسود والنمور.

فالأسد على سبيل المثال هو أقوى الحيوانات الوحشية وأكثرها شراسة ولا يتوانى في بعض الأحيان عن مهاجمة

الإنسان والفتك به حتى وإن كان في مجموعة : " وربما هاجم مائتي فارس خاصة إذا كان قرب مأوى يمكنه اللجوء إليه وفي مكان يتعذر محاصرته فيه..." وليس من السهل قتله على الإطلاق : " وفي عام ألف وخمسمائة وأربعة وأربعون عندما كان الشريف محمد ملك المغرب متوجها بجيشه إلى تلمسان شاهدنا أسدا يتحارب مع رجاله في أجمة قرب جدول ماء واستمر القتال أزيد من ساعتين جرح أثناءهما السبع أحد عشر فرسا وقتل ثلاثة رجال وكان باستطاعته أن يفعل أكثر من ذلك لولا أن أصابوه من بعيد بالنبال وأطلقوا عليه أزيد من ستين طلقة نارية."

كما أن النمر يشكل في بعض الأحيان خطرا كبيرا على الإنسان خاصة إن جرح أو أحرج فهو يهاجم حينئذ الصياد وقد يقتله : " ... و تهاجم أيضا كل من صرخ أو تحدّاها، فيقفز الوحش عندئذ على ظهر الإنسان، ممزقا وجهه بأظفاره ومقتلعا كل ما أمكنه من لحمه. ويكسر أحيانا رأسه ويقتله...".

ج) استعمالها لأغراض طبية: السلحفاة

لقد درج الناس منذ القديم وفي مختلف أرجاء العالم القديم وخصوصا الآسيويين كالصينيين والهنود وحتى الفراعنة على الاعتقاد أن هنالك حيوانات برّية وزواحف معيّنة يمكن استعمالها في وصفات علاجية مختلفة للتداوي بها من عدة أمراض مستعصية وقد تواصل هذا الإعتقاد في الفترات اللاحقة لا سيما في إفريقية في الفترة الوسيطة فلقد ذكر ليون الإفريقي أو الحسن الوزان أن البعض يتداوون من عدة أمراض وذلك بأكل لحم السلاحف البرية : « ويزعم سكان الصحراء أن كل من أصيب بالبرص منذ أقل من سبع سنوات وأكل من لحمها طيلة سبعة أيام شفي منه. وهم يعرفون عدة وصفات سرية مبنية على خصائص هذا الحيوان...» (الفاسي، 1983، ص270)

ولقد روى مارمول كاربخال شيئا مشابها لهذا حيث ذكر ما يلي : « ويعتقد الأفارقة أن لحم السلحفاة مفيد في مرض الجذام شريطة أن يتناوله المريض سبعة أيام متتالية وألا يتعدى عمر السلحفاة سبع سنوات» (مارمول ، 1984، ص 83)

ح) إستعمالها في الشعوذة والسحر :

إن مجال الشعوذة والسحر وكما معلوم عند عامة الناس قد وظف منذ قديم الزمان بالاضافة إلى بعض الأعشاب والبخور أعضاء بعض الحيوانات كالجلد أو الذنب أو القلب وغيرها وذلك بغرض القيام بمستحضرات ووصفات سحرية بينتها كتب السحر والشعوذة و من بين الحيوانات والزواحف التي يتم إستعمالها في السحر وفق طرق خاصة بعد أن يتم إصطيادها نذكر : (الثعالب وابن آوى و الأفاعي والحيات والضب و الورل والحرباء...

خ) التطيّر والإشمئزاز منها :

درجت المعتقدات الشعبية على التطير من بعض الحيوانات واعتبارها نذير شؤم لشكلها الدميم وصوتها المنفر فلقد اعتبر طائر البوم من بين الطيور التي يدل وجودها في مكان ما على أن ذلك المكان خرب ومهجور.

كما نسجت حولها العديد من الحكايات والخرافات ومن بينها خرافة شعبية متوارثة عبر الأجيال تقول أن طائر

البوم ما هو إلا مسخ لإنسان شرير عاقبه الله على فعله بأن حوله من إنسان إلى بوم.

كما أن الصيادين لا يتعرضون البتة إلى البوم والغربان ويأنفون من اصطيادهما وحتى وإن أصابوهما فإن ذلك يحدث في العادة على وجه الخطأ. و من بين الزواحف التي تعود الناس على الخوف و الإشمئزاز منها الأفاعي والحيات والعقارب والوزغ، وهنالك معتقدات تقول بأن الوزغ إذا لمس أحدهم يمكن أن يسبب له البرص. كما يمكن ذكر الخفافيش وهي تسكن المغاور والكهوف وتثير مخاوف الناس منها عادة.

ومن الحيوانات التي يزهد فيها الصيادون لأن لا قيمة لها تذكر الضبع : « الضبع حيوان في حجم الذئب وشكله تقريبا، وتشبه رجلاه ويداه أعضاء الإنسان السفلى، لا يؤذي الحيوانات أبدا لأنه جبان قليل الحيلة. غير أنه يخرج الجثث من المقابر ويأكلها. يقوم الأفارقة بصيده وقتله دون أن يأكلوا لحمه لأنه لا يساوي شيئا عندهم...» (مارمول، 1984، ص 78)

حضورها في الأعمال الأدبية والشعرية :

لقد وجدت العديد من القصائد التي تضمنت ذكر الحيوانات والطيور الطردية من ذلك الأرجوزة الطردية المليحة لعلي بن وهبة الله اللخمي (م 413 هـ) التي نقلها ابن الرشيق القيرواني (مارمول، 1984، ص 297-296):

وطائرذي جؤجؤ منمّق
كأنما استعاره من مهرق
مسرول محجّل مسبّق
لا يتّقي ما مثله لا يتّقي
ولا يرد منسرا عمّا لقي
فما تركنا لائذا بعرق
ولا هتوفا فوق غصن مورّق
تصاد في وكر لها معلّق
فواغر أفواهها كالأفوق
ولا وعولا في منيع أخلق

ذ) حضورها في الخزف الإسلامي (Adnan Louhichi .1944.) :

على الرغم من تحريم الشريعة الإسلامية لتصوير ورسم المخلوقات البشرية أو غيرها إلا أننا نجد تعبيرات فنية مختلفة شذت عن هذه القاعدة الشرعية.

فلقد مثلت النقائش والصور و الرموز أو ما يعرف بالإيقونات عامة مادة بحث قيمة وثرية لمعرفة تاريخ الفن الإسلامي وتطوره عبر الزمن. ومن بين الزخارف الفنية الموجودة في الخزف الإسلامي نجد الزخارف النباتية والزخارف الهندسية.

كما شكلت الحيوانات البرية واحدة من المواضيع والتعبيرات الفنية المختلفة التي استعملت لتزيين وزخرفة الخزف الإسلامي حيث نجد لها حضور بامتياز في الخزف الإسلامي بدءا بالفترة الأغلبية مرورا بالفترة الفاطمية الزيرية فالفترة الحفصية.

متحف الفنون الإسلامية، القيروان، أواخر القرن IX ميلادي

متحف الفنون الإسلامية، النصف الثاني من القرن

متحف بلاريجيا، مطلع القرن العاشر ميلادي

النصف الثاني من القرن X ميلادي النصف الأول من االقرن XI عشر ميلادي

الخاتمـــــة :

لا بد من التأكيد على أن الحيوانات البرية بمختلف أنواعها وأصنافها سواء كانت طيورا أو ثدييات على علاقة وثيقة بالإنسان حيث لطالما تقاطعت مواطن عيشه مع مواطن عيشها سواء في القرى أو في البوادي أو في المداشر.

كما يمكن التأكيد على أن هذه العلاقة اختلفت بين الحيوانات البرية و الإنسان و بالخصوص من حيث تمثل هذا الأخير لها في حياته العامة في فنونه وأدبه في أسماره وأشعاره وتطورت هذه العلاقة عبر الزمان والمكان...

تعتبر الحيوانات البرّية جزءا لا يتجزأ من بيئتنا الطبيعية وبالتالي من تراثنا الطبيعي الهام الذي لطالما تفاعل الإنسان معه،ولا يمكن للإنسان بصفة عامة أن يعيش بمعزل عنه...

فهـــــــرس الهوامـــــــش:

) أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس، ص :12-11، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي

2) دائرة المعارف الإسلامية، ط1و2 المقال الذي حرره ليفيتسكي. والدرجيني، طبقات 2/448 وصالح باجية، الإباضية في الجريد، ص 207 و 209 ، المقدمة لكتاب السيرة.

3) الوارجلاني أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمان أيوب، الدار التونسية للنشر، تونس 1985

4) حسني عبد الوهاب (حسن)، رحلة التيجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني، تونس الدار العربية للكتاب، 2005- 375 ص

5) البكري أبي عبد الله، المغرب في ذكر بلاد إفرقية والمغرب، ص 49 مكتبة المثنى بغداد

6) البكري أبي عبد الله، المغرب في ذكر بلاد إفرقية والمغرب، ص 54 مكتبة المثنى بغداد

7) البكري أبي عبد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 55 مكتبة المثنى بغداد

8) الحسن بن محمد الوزان الفاسي : الملقب بليون الإفريقي هو شخصية عريبة إسلامية فذة، إجتمع له من الخصال العلمية والإنسانية ما جعل الغربيين المسيحيين يقدرونه حق قدره ويستفيدون من تأليفه الجغرافي في عصر النهضة. ولد بمدينة غرناطة قبيل سقوطها في يد الإسبانيين حوالي سنة 888هـ/ 1483 . وقام برحلات متعددة إلى مناطق وأقاليم مختلفة من بينها البلاد التونسية ودون رحلاته، وله عدة مؤلفات منها ما وصلنا زمنها مالم يصلنا.

9) الفاسي (الحسن بن محمد الوزان)، حجي (محمد)، الأخضر(محمد) ترجمة. وصف إفريقيا، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1983، الجزء الثاني، ص51.

10) أنظر المصدر السابق، ص59.

11) انظر المصدر السابق، ص60

12) انظر المصدر السابق، ص62

(13 حسني عبد الوهاب (حسن)، رحلة التيجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني، تونس الدار العربية للكتاب، 2005– 375 ص

14))(مارمول) كاربخال' كتاب إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، الجمعية المغربية للتأليف والنشر والترجمة، 1984، ص 267

15) الفاسي (الحسن بن محمد الوزان)، حجي (محمد)، الأخضر(محمد) ترجمة. وصف إفريقيا، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1983، الجزء الثاني ص 273

16) (مارمول) كاربخال' كتاب إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، الجمعية المغربية للتأليف والنشر والترجمة، 1984، ص 75

17) ابن خلدون :كتاب العبر، القسم الثاني، المجلد الرابع، منشورات دار الكتاب اللبناني 1958 ص 430 وأحمد بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ج1، النشرة الثانية، تحقيق محمد شمام، الدار التونسية للنشر 1990 ص 140 و: Fournel Henri : Les berbers' étude sur conquête de la Afrique'l par arabes les T1' Paris 'l'imprimerie nationale– 1875 ' P519

18) روبار برانشفيك : تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ج2 دار الغرب الإسلامي ط.1، 1988، ص 236–237

19) محمد المتكلي : أنس الملا بوحش الفلا، باريس 1880 : ص19، 22

CHASSE LA DE : Mangî Ibn : Commerce des grands de ce monde avec Traité .onde sans déserts des sauvages bêtes les traduit de arabe'l et – pr Sindbad' arabe bibliothèque La ; Viré François par senté Paris 1984 .p–51

52

20) الفاسي (الحسن بن محمد الوزان)، حجي (محمد)، الأخضر(محمد) ترجمة. وصف إفريقيا، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1983، الجزء الثاني ص270

21) (مارمول) كاربخال' كتاب إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، الجمعية المغربية للتأليف والنشر والترجمة، 1984، ص 83

22) المصدر السابق ص78

23) أنموذج الزمان ص 296–297

24 (Louhichi Adnan 'Céramique Islamique de Tunisie 'Ministère de la

culture et de sauvegarde du patrimoine ’Agence de mise en valeur du patrimoine et Promotion culturelle

بيبليوغرافيا المصادر والمراجع :

✓ باللغة العربيّة :

– (الفجيجي)، أبو القاسم بن محمد بن عبد الجبار:» الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد»، تقديم وتحقيق د.عبد الهادي التازي، مطابع النجاح الجديدة، الدار البيضاء .1983

– (ابن خلدون): عبد الرحمان « كتاب العبر»، القسم الثاني، المجلد الرابع، منشورات دار الكتاب اللبناني 1958 ص 430.

– (ابن عذاري) المراكشي : « البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب «، الدار العربية للكتاب، 1983، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان و إ.ليفي بروفنسال.

– (بن أبي الضياف) أحمد : « إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان « ج1، النشرة الثانية، تحقيق محمد شمام، الدار التونسية للنشر 1990 ص 140.

– (الكوفي العبسي) أبو بكر عبد اللّه بن محمد بن أبي شيبة : « الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار»، ضبطه وصحّحه محمد عبد السلام شاهين ج4، دار الكتب العلمية ببيروت ط1، 1416–1995هـ.

– الوارجلاني (أبو زكرياء يحي بن أبي بكر)، « كتاب السيرة وأخبار الأئمة «، تحقيق عبد الرحمان أيوب، الدار التونسية للنشر، تونس 1985

– الفاسي (الحسن بن محمد الوزان)، حجي (محمد)، الأخضر(محمد) ترجمة : « وصف إفريقيا «، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1983، جزئين.

- كامبس (قابرياك)، قراءة نقدية لكتاب المؤرخ الإغريقي هيرودوت « الحيوانات البّرية بشمال إفريقيا والصحراء « ، 1988.

- البكري (أبي عبد اللّه)،» المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب «، مكتبة المثنى بغداد.

– الإدريسي (أبي عبد اللّه محمد بن محمد بن عبد اللّه بن إدريس الجمودي الحسني)، « نزهة المشتاق في إختراق الآفاق»، تحقيق وترجمة deGeogie–Dozy ’Leyde 1886.

– الزركشي: « تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية «، تونس 1289 هـ ، ترجمة Faganan ، قسنطينة 1895.

– المالكي (أبي بكر عبد اللّه بن محمد) ،» رياض النفوس «، دار الغرب الإسلامي 3 أجزاء.

– (بن رشيق القيرواني) حسن ، « أنموذج الزمان في شعراء القيروان»، جمعه وحقّقه محمد العروسي المطوي و بشير البكوش، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986.

– (برانشفيك) روبار،» تاريخ إفريقية في العهد الحفصي»، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي ،ج2.
– (عبد الوهاب) حسن حسني،» رحلة التيجاني «، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني، تونس الدار العربية للكتاب، 2005– 375 ص.
– خوالدية (الضاوي) « الصيد البري في الحضارة العربية الإسلامية بالمغرب والأندلس «،تونس2003.–103 ص.
– سعيدوني (ناصر الدين) من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي: « تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين» بيروت : دار الغرب الإسلامي،1999. 699 ص.
– (مارمول) كاربخال' « كتاب إفريقيا»، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، الجمعية المغربية للتأليف والنشر والترجمة، 1984، 549 ص.
– دائرة المعارف الإسلامية، ط1و2 المقال الذي حرره ليفيتسكي. والدرجيني، طبقات 2/448 وصالح باجية، الإباضية في الجريد، ص 207 و 209 ، المقدمة لكتاب السيرة.
– كشاجم : « المصايد و المطارد»، تحقيق د.محمد أسعد طلس، مطبعة دار المعرفة بغداد، 1954

✓ باللغة الفرنسيّة :

– Louhichi (Adnan)' « Céramique Islamique de Tunisie »' Agence de mise en valeur du patrimoine et Promotion culturelle.
– « Couleurs de Tunisie 25 siècles de céramique »' Institut du monde Arabe Paris 13 décembre–1994' 26 mars 1995' musée Augustins Toulouse.
– Ibn Mangî : DE LA CHASSE : Commerce des grands de ce monde avec les bêtes sauvages des déserts sans onde. Traité traduit de l'arabe et pré–senté par François Viré ; La bibliothèque arabe Sindbad' Paris 1984 p.51–52
– Henri Fournel : Les berbers' étude sur la conquête de l'Afrique par les arabes T1' Paris' l'imprimerie nationale– 1875 ' P519